ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2021) Vol (12) Issue (4): 255-277
https://doi.org/10.25130/jis.21.12.4.11

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN:2073-1159 (Print) E-ISSN: 2663-8800 (Online)
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq

ISJ

The Basic Aspects in Building the Islamic Civilization and its Value

Dr. Mohammed Saeed Abd *

Imam Al-Aazam University College - Ramadi, Anbar, Iraq .

KEY WORDS:

Civilization, the Islamic concept, Islamic civilization, the religious and scientific aspect, the economic aspect .

ARTICLE HISTORY:
Received: 24 / 2/2021
Accepted:22 /3 / 2021
Available online: 30 /5 /2021

ABSTRACT

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon the one who was sent as a mercy to the worlds, our master Muhammad, may Allah bless him and grant him peace, the master of the first and the last.

The Islamic civilization occupies a high position among the greatest civilizations that have appeared in the history of mankind. it is regarded one of the longest-lived global civilizations and has a great impact on the world. This is achieved through the Islamic religion which was able to make a unity between the human races despite of their diversity. The Arab Muslims have promoted the Islamic human civilization that dominated the world and led it to a high level of prosperity, stability, and security. Muslims made great efforts in spite of the hard circumstances.

Islamic civilization is able to serve humanity and invented everything that would provide a civilized service that elevates the human being everywhere. It also improves its conditions morally, materially, culturally, and spiritually. So it is considered as an immortal human civilization which is represented by the eternity of the divine message of Islam. However, inclusiveness is evident in the Islamic civilization. It includes all aspects of life like economic, political, social, and intellectual aspects. It also provides the human being with all spiritual, mental and physical requirements. Therefore, the characteristics of the Islamic civilization are of humanistic tendency that have universality represented by the power of the Islamic religion. Thus, through its experimental method, it is able to present a civilization that achieves security and justice for all the humanity. Writing about the Islamic civilization is of a great importance because it has a role in building a social solidarity and preserving its high values.

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

* Corresponding author: E-mail: **am1999nt2000@gmail.com**

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2021) Vol (12) Issue (4): 255-277
https://doi.org/10.25130/jis.21.12.4.11

الجوانب الأساسية في بناء الحضارة الإسلامية وقيمتها

م.د. محمد سعيد عبد

كلية الإمام الأعظم الجامعة– الرمادي, الأنبار, العراق.

الخلاصة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مَن أُرسل رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأول والآخر.

تحتل الحضارة الإسلامية مكانة عالية بين أعظم الحضارات التي ظهرت في تاريخ البشرية. تعتبر واحدة من أطول الحضارات العالمية عمرا ولها تأثير كبير على العالم. وقد تحقق ذلك من خلال الدين الإسلامي الذي استطاع أن يحقق الوحدة بين الأجناس البشرية رغم تنوعها. لقد روج المسلمون العرب للحضارة الإنسانية الإسلامية التي هيمنت على العالم وقادته إلى مستوى عالٍ من الازدهار والاستقرار والأمن. بذل المسلمون جهودا كبيرة رغم الظروف الصعبة.

الحضارة الإسلامية قادرة على خدمة الإنسانية ، وقد اخترعت كل ما من شأنه تقديم خدمة حضارية ترفع الإنسان في كل مكان. كما أنه يحسن أحواله معنويا وماديا وثقافيا وروحيا. لذلك فهي تعتبر حضارة إنسانية خالدة تتمثل في خلود الرسالة الإلهية للإسلام. ومع ذلك ، الشمولية واضحة في الحضارة الإسلامية. يشمل جميع جوانب الحياة مثل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية. كما أنه يوفر للإنسان جميع المتطلبات الروحية والعقلية والجسدية. لذلك ، فإن خصائص الحضارة الإسلامية ذات نزعة إنسانية لها الشمولية التي تمثلها قوة الدين الإسلامي. وبذلك تكون قادرة من خلال أسلوبها التجريبي على تقديم حضارة تحقق الأمن والعدالة للبشرية جمعاء. الكتابة عن الحضارة الإسلامية لها أهمية كبيرة لما لها من دور في بناء التكافل الاجتماعي والحفاظ على قيمها السامية.

الكلمات الدالة: الحضارة, المفهوم الإسلامي, الحضارة الإسلامية, الجانب الديني والعلمي, الجانب الاقتصادي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, وعلى آله وصحبه أجمعين, ومَن سار على نهجهم إلى يوم الدين. وبعد:

إن الحضارة الإسلامية تحتل مكانة رفيعة بين الحضارات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية، كما أنها من أطول الحضارات العالمية عمراً ، وأعظمها أثراً في الحضارة العالمية ؛ إذ استطاع الدين الإسلامي أن يعلن عن وحدة النوع الإنساني بالرغم من تنوع أعراقه ومنابته ومواطنة, فقد نهض العرب المسلمون بالحضارة الإسلامية الإنسانية التي سادت العالم عندما كانوا يقودونها إلى مستوى عالي من الازدهار والرخاء والاستقرار والأمن والأمان والسلام والتسامح، وبذلوا الجهود الجبارة رغم الظروف الصعبة في جعل الحضارة الإسلامية قادرة على خدمة الإنسانية واستكشفوا واخترعوا وأبدعوا كل ما من شأنه يقدم خدمة حضارية ترتقي الإنسان في كل مكان وتحسن ظروفه معنوياً ومادياً وحضارياً وأخلاقياً وروحياً، وأن تلك الحضارة لهي حضارة انسانية خالدة كخلود الرسالة السماوية, وقد ظهرت هذه الشمولية واضحة جلية في عطاء الإسلام الحضاري، فهو يشمل كل جوانب الحياة, الاقتصادية, والسياسية, والاجتماعية, والفكرية كما أن الإسلام يشمل كل متطلبات الإنسان الروحية والعقلية والبدنية, ولذلك فأن من خصائصها أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة, وقد استطاعت الحضارة المعاصرة أن تمتلك القدرة من خلال المنهج التجريبي الذي وضعه الدين الإسلامي, ولكنها منذ اليوم الأول كانت عاجزة عن تقديم حضارة تحقق الأمن والعدل للبشرية, ولقد استطاع الدين الإسلامي أن يعلن عن وحدة النوع الإنساني بالرغم من تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه, فقد جاء في القرآن العظيم, قوله تعالىﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[١], فهذه الآية الكريمة قد أعلنت عن تلك الوحدة الإنسانية العالمية على صعيد الحق والخير والكرامة, فجعل حضارته عقدًا تنتظم فيه جميع العبقريات للشعوب والأمم التي خفقت فوقها راية الفتوحات الإسلامية؛ ولذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة إلا الحضارة الإسلامية فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الحديث عن الحضارة الإسلامية ولما لها دور في بناء مجتمعاً متكاملاً ومحافظاً على قيمه العالية, فقد أزالت جميع الحواجز والمسافات بين البشر , فهي تنظر إليهم جميعاً على أنهم سواء.

أهداف البحث:

(١) سورة الحجرات الآية:(١٣).

يحاول الباحث تسليط الضوء على الحضارة الإسلامية, وكيف أقرت بالعدل والمساواة بين الناس دون النظر إلى ألوانهم أو أجناسهم, وأن هذه المساواة وذلك العدل لم يقفا عند حدود المبادئ التي تعلن في مناسبات متعددة كما يقع ذلك؛ من زعماء الحضارة الحديثة اليوم, على العكس من ذلك, فكانت مطبقة تنفذ كأمر لا يلفت نظرًا.

وأمّا عن خطة البحث, فقد اشتملت على مقدمة ومبحثين, ثم تليها خاتمة:

المبحث الأول: جاء بعنوان التعريف بالمصطلحات ذات لصلة بالموضوع, وقد اشتمل على ثلاثة مطالب.

وأما المبحث الثاني: فكان بعنوان: الجوانب الأساسية في بناء الحضارة الإسلامية, وقد اشتمل على أربعة مطالب.

ثمّ جاءت الخاتمة, ثمّ المصادر والمراجع وقد رتبتها على حسب الحروف الهجائية.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات ذات الصلة بالموضوع.

المطلب الأول: تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً.

الحضارة لغة: من الحضر والحضرة و الحاضرة وهي: خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف سُميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار[١], وقد استعمل ابن منظور الحضارة بمعنى الحضر وهو الاستعمال الوحيد، وقد أورد استخدامات أخرى للحضر بطرق مختلفة.

وأما في الاصطلاح: فقد جاء في تعريف الحضارة عدة تعريفات منها: إنجازات إنشائية، وأنظمة تشريعية، وتضامن اجتماعي، وفق تقاليد وعادات موحدة، أو قوى حربية, أو هي عبارة عن مجموع المفاهيم، والقيم، والتصورات، والعقائد، والقوانين، والمبادئ، والعادات التي تشكل سلوكاً معيناً ومحدداً عند الإنسان، وتحدد له طريقة معينة في الحكم، والعيش، والحياة، والتعامل مع الآخرين[٢].

وقيل بأنها: الإنجازات التي تحققت للبشرية، أو تحققها البشرية، من خلق وسلوك ومعارف، أو هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة، مقصودا أم غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أم معنوية [٣].

وقال ابن خلدون: (والحضارة إنّما هي تفنّن في التّرف وإحكام الصّنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله) [٤].

إذن فالحضارة (مشتقة من "الحضور" في الدلالة على معنى "الفعالية"، فالعلامة الفارقة في الفعل الحضاري هي "حضور" المشهد التاريخي، وشهوده وعدم الغياب عنه ولعب دور فيه "وكثير من المجتمعات الإنسانية تقتصر على مجرد الوجود دون الحضور، ومن ثم لا يمكن إطلاق مفهوم الحضارة عليها مهما كان نتاجها الذهني والمادي، طالما وقفت فقط عند مجرد الوجود) [٥].

---

(١) ينظر: لسان العرب: لابن منظور, ٤/ ١٩٧.

(٢) ينظر: الإنسان والحضارة: فؤاد زكريا, ص ١١- ١٢, و الإنسان دراسة في النوع والحضارة: د. محمد رياض, ص١٨٤-١٨٥

(٣) ينظر: الحضارة الثقافة المدنية: نصر محمد عارف, ص ١٦.

(٤) تاريخ بن خلدون: لابن خلدون, ص ٢١٥.

(٥) على عتبات الحضارة: بتول أحمد جندية, ص ٢٧.

ويمكن القول بأن الحضارة هي القيم والأخلاق والعقيدة الخلاقة والخصائص الإنسانية العليا التي ينفرد بها الإنسان عن الحيوان، وتكون دافعا له إلى تسخير ما خلق الله فيما أمر به؛ لأن إنسانية الإنسان هي قيمته العليا في الحياة، فيجب أن تكون موضع التكريم والاحترام(١).

ولذلك فإن الحضارة الإسلامية لا تقاس بعمران الدنيا ولا بعلومها، فإن المسلمين لما ركنوا إلى الدنيا واستهانوا بالعلوم الشرعيات؛ رماهم الله بالدواهي والمصيبات, ولذلك قيل: (إنّنا نعني بحضارة الإسلام تلك النظرة الخاصّة إلى الفضائل الخلقيّة، وذاك المنهاج الاجتماعيّ المتمايز، والأسلوب الّذي رسمه الإسلام لحياة البشر، فلا نقصد بحضارة الإسلام حدثاً بذاته أو نهضة ممّا استحدثه المسلمون في أيّ قطر من أقطارهم أو فترة من فترات تاريخهم) (٢), والحضارة الإسلامية هي التي اسست للحضارة الإنسانية ورقيها في احترام اللبنة الأساسية في تكوين البشرية؛ منذ النبي آدم عليه الصلاة والسلام, قال تعالى: چ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ڳ ں ں چ(٣).

وعلى هذا يتبين لنا فيما تقدم بأن الحضارة هي وصف زائد على الوجود الثقافي للجماعة، وقد يتضمن هذا معنى التقدم والرقي، والتفوق النوعي والكمي، والإنجاز على مستوى الواقع، وهو درجة ملحوظة من التأثير في المحيط التاريخي، وفعالية في صنع أحداثه وتوجيهها؛ فعالية, وقد تصل حد تشكيل منعطف ومفصل مشع فيه؛ زمانيًا ومكانيًا (٤).

المطلب الثاني: الحضارة وصلتها بالمفهوم الإسلامي.

يكاد لا تخلو أمة من الأمم أو جماعة من الجماعات؛ سواء بدائية كانت أو متقدمة، من أن تكون لها ثقافة تربطها وتكسبها طابعها المتميز، فالثقافة هي طريقة في العيش وموقف من الحياة والوجود، وهي نظام قيمي واجتماعي يحكم مظاهر الحياة ومفرداتها جميعها، وقد ينعكس في أشكال النشاط والسلوك كلها، ويمنح المجتمع هويته ويحافظ على تماسكه

ولا بد من معرفة بأن الإسلام ينظر إلى الحضارة نظرة متميزة، فتقوم على القيم والإخلاص والخصائص الإنسانية العليا التي ينفرد بها الإنسان عن الحيوان، فمجتمع الإسلام يبنى على العقيدة؛ لا على الجنس أو اللون، والعقيدة تجمع بين أجناس الأرض في عبودية تامة لله سبحانه وتعالى، وخضوع لأوامره، حيث تطوع العادات والتقاليد والأعراف والطبائع لتلك العبودية، وليس من معنى هذا أن المجتمع الإسلامي المتحضر يحتقر المادة، وإنما هو يحترمها في صورتها النظرية؛ باعتبار أنها هي التي يتألف منها هذا الكون البديع الذي نعيش فيه ونتأثر به، في

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية: د. توفيق يوسف الواعي, ص ٤٩.

(٢) الإسلام والتحديّ الحضاريّ: محمد أسد, ص ٢٢

(٣) سورة الأسراء الآية: (٧٠).

(٤) ينظر: على عتبات الحضارة: بتول أحمد جندية, ص ٢٥.

صورتها في الإنتاج المادي، فالإنتاج المادي من مقومات الخلافة في الأرض، سخره الله لنا، وأمرنا أن نعمل الفكر فيه، ونسير في الأرض لتحصيله والاستفادة منه[١], قال تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[٢]، وقد بين الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: أنهم حرموا من تلقاء أنفسهم ما لم يحرمه الله عليهم. والزينة هنا الملبس الحسن، إذا قدر عليه صاحبه. وقيل: جميع الثياب، فقد دلت الآية على لباس الرفيع من الثياب، والتجمل بها في الجمع والأعياد، وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان[٣].

ولكن المسلم لا يعتبر هذا غايته ولا يتصوره القيمة العليا التي تستعبد الإنسان وتهدر كرامته وتبتلع حريته وتجعله خاضعا ذليلاً في كل ما يصدر عنه أو يتصرف فيه، ولا تدخل فتغير أسلوبه وتبدد خلقه، وتحرمه من القيم العليا والفضائل الحسنة؛ لتحقق شيئا أرضيا مثل الوفرة في الإنتاج، أو الرفاهية في الطعام، أو الأناقة في الملبس، والراحة في المسكن، والترف في المركب؛ على حساب قيمه العليا، فينقلب الإنسان إلى شيء آخر غير الإنسان[٤]، أي قد ينقلب إلى حيوان، وقد يكون أشر منه وأضل، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭽ[٥], أي أَضَلُّ لأن الأنعام تعرف ربها وتذكره ويطيعوه والكافرون لا يعرفون ربهم ولا يطيعونه, أي يصبحون بل كالسباع يتحارشون ويتناوشون بالعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فإنَّ أرباب الغفلة لا ألفة بينهم وإن أصحاب الوفاق لا وحشة بينهم, لأنهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا, فالأنعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون [٦].

وقد بين الإمام الشوكاني فيمن وصفهم الله تعالى بأنهم كالأنعام بقوله: (والإشارة بقوله أولئك إلى هؤلاء المتصفين بهذه الأوصاف كالأنعام في انتفاء انتفاعهم بهذه المشاعر، ثم حكم عليهم بأنهم أضل منها، لأنها تدرك بهذه الأمور ما ينفعها ويضرها فتنتفع بما ينفع، وتجتنب ما يضر، وهؤلاء لا يميزون بين ما ينفع وما يضر باعتبار ما طلبه الله منهم وكلفهم به، ثم حكم عليهم بالغفلة الكاملة لما هم عليه من عدم التمييز الذي هو من شأن مَن له عقل وبصر وسمع) [٧].

---

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية: د. توفيق يوسف الواعي, ص ٥٠- ٥١.

(٢) سورة الأعراف الآية: (٣٢).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للإمام لقرطبي, ٧/ ١٩٥-١٩٦.

(٤) ينظر: على عتبات الحضارة: بتول أحمد جندية, ص ٦١-٦٢.

(٥) سورة الفرقان الآية: (٤٤).

(٦) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي, ١/ ٦١٩- ٦٢٠.

(٧) فتح القدير: للإمام الشوكاني, ١/ ٣٠٥.

والذي يبدو لي أن الأمة تتجلى عبقريتها في طبيعة حضورها، لأن الحضور يتفاوت في الدرجة والنوع، وهذا يقتضي امتلاك مقياس أو معايير لتقويم التجارب الحضارية للجماعات الإنسانية, ومن الضرورة توافر معيار أخلاقي في التقويم الحضاري, لأن المجتمع الإسلامي ليس مجرد صورة تاريخية، يبحث عنها في ذكريات الماضي، إنما هو طلبة الحاضر وأمل المستقبل.

المطلب الثالث : مميزات الحضارة الإسلامية

إنّ المجتمعات تتمايز فيما بينها بمجموعة من المعارف، فيختصّ كلّ واحد منها بثقافة تكون له سمةً دون غيره. فلكلّ مجتمع عقائده ووجهة نظره عن الحياة، ولكلّ مجتمع مفاهيمه ومقاييسه وقناعاته ومثله العليا وأهدافه الكبرى وقيمه الخاصّة. وهذه العناصر تأتلف فيما بينها لتشكّل بنياناً ثقافيّاً متمايزاً، تملأ جوانبَهُ مجموعةٌ من المعارف التي تكيّفت وتشكّلت وفق طرازه.

وفي ظلال الدعوة المستمرة كان الإسلام ولا يزال دين دعوة وفكرة، إذ تمكن من نشر طابعه الحضاري، كعقيدة للحياة، وأن يصبح في أقل من ربع قرن، مقوماً أساسياً من مقومات الحضارة الإنسانية, فكان الإسلام دينا سهلاً غير معقداً، ولا مركباً في عقيدته، وكان في الوقت ذاته ديناً مباشراً يتصل فيه الإنسان بخالقه دون وساطة : قال تعالى: چ ـد ئا ئا ئه ئه ئوئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد چ[1]، ولا نجد عقيدة تطلب من الإنسان شهادة أبسط من شهادة الإسلام.

إن الدين الإسلامي دين يدعو إلى سبيل العقل في حدود أصول العقيدة، كما يدعو إلى سبيل الضمير والحق, ومن هنا كانت الدعوة إلى المعرفة أساساً من أسس الدعوة الإسلامية، وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة, والإسلام في رحابته الحضارية استطاع أن يمتص ألوان الحضارات في البلاد التي أوقد فيها قناديل الضياء, ثم إن البيئة بعواملها المحلية، وموقعها الجغرافي قد ساعدت على إعطاء الحضارة الإسلامية ما كان لها من طابع، ومن مكانة[2].

ومن أهم مميزات الحضارة الإسلامية أنها جاءت بالوسطية, التي جعلت فيها الأمة الإسلامية وشرفها الله بها, فهي ليست الوسطية لمبتدعة في الفكر المستورد الحديث, والوسطية الإسلامية وسطية عامة شاملة لا تعترف بالتقسيم الذي يفرق جمعها ويشتِّت شملها, قال الله تعالى: چ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[3], أي وسطاً في التصور والاعتقاد في التفكير والشعور، لا تجمد على ما علمت، وتغلق منافذ التجربة والمعرفة.

---

(١) سورة البقرة الآية: (١٨٦) .

(٢) ينظر: الحضارة الإسلامية: أحمد عبد الرحيم السايح, ص ٧١.

(٣) سورة البقرة الآية: (١٤٣) .

وإن من مميزات الحضارة الإسلامية واهمها, القيادة الفذة لعلماء المسلمين كونهم قد نشروا رسالة الإسلام, التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ على الناس,؛ لأنهم أصحاب القيم, وذلك كله بفضل تعاليم الإسلام, ليخرجوا البشرية من الظلمات إلى النور.

ولعل من أهم الخصائص التي امتازت بها الحضارة الإسلامية, هي الهدي المقصدي للإنسان, والذي أحدث التفاعل بين عطاء الوحي وتطلعات العقل , وأشواق النفس ؛ بحيث ارتقى بموقع ووظيفة إلا من مجرد وسيلة وأداة للإنجاز الحضاري إلى مستوى جعل معه المنجز الحضاري التي يبتدع وسائل ويسخرها لخدمته وتحقيق إنسانيته , وجعله مسخراً للكون بدل أن يكون مسخراً له, ولعل من أبرز ما تميزت بها أيضاً أنها اعتمد العقل سنداً للحقيقة, ووسيلة لإدراكها وإثباتها, واعتمدت قناعة الإنسان سبيلها للإيمان, وطريقها لحصول اليقين, فالدين الحنيف التزام وليس إلزاماً , وتحيقاً لإنسانيته هو استجابة لنزوع داخلي وميل فطري(١).

وكان هذا كله قوة دفع للفكر الإسلامي، وما تصل به من حضارة، ومن هنا انطوى التفاعل الإسلامي على قوة غلبت كلَّ التحديات الجاهلية، فانتشر طابع الحضارة الإسلامية على فعالية لم يعرف لها مثيل في تاريخ الإنسانية.

ولذلك كان من سمات تلك الحضارة أنها حضارة إنسانية الخطاب, وأن ميدانها هو العقل البشري, وعطاؤها الفعل الإنساني, ودافعها هو تحصيل الحكمة, لذلك جاء نسيجها وإنجازها إنسانياً من الناحية التاريخية, وبعدها عالمياً من الناحية الجغرافية, وهي محلها الإنسان من الناحية الفكرية , حيث تتوحد في نظرتها مصدرية الخلق, فهي أول مَن دعا إلى تشكيل الامة بعيداً عن كل الحدود والفوارق, إذ جعلت ميزان الكرامة, ومعيار التفاضل, والارتقاء فيها؛ كسب الإنسان, وفعله المختار المتسق مع الطبيعة, وفطرة الخلق, ولذلك أسقطت المعايير القسرية في التفاضل, والتي لا يد للإنسان فيها, فقد برئت من جميع نوازع العصبية, كاللون, والجنس, والقوم, وغيرها(٢).

ولأن الحضارة الإسلامية هي (المهاد الحقيقي الذي يمدُّ الشاعر بالصورة الشعرية الرائقة المعبرة, لأن انتشار الإسلام في الأندلس كان له أثر كبير في بلورة الأفكار والمعاني والألفاظ الإسلامية التي بثها الشعراء في أشعارهم, وأن الاقتباس ليس بجديد, بل هو موجود في غرض المدح والهجاء والغزل وغيره، ويعدُّ دليل الثقافة العامة التي أخذ الشعراء بها, فكانوا يأخذون من القرآن الكريم, كلما دعتهم الحاجة المعنوية والفنية لتزين أشعارهم وتقوية أفكارهم فالشاعر يلوذ بالاقتباس حين يريد تقوية معنى أو توضيحه وتقريبه من النفوس) (٣).

---

(١) ينظر: الإسلام ومشكلات الحضارة: سيد قطب, ص ٢٣– ٢٥.

(٢) ينظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام: أبو التراب سيد بن حسين العفاني, ٢/ ٢٤٠– ٢٤١ .

(٣) شعر المرأة الأندلسية من الفتح إلى نهاية عهد الموحدين: واقدة يوسف كريم, , ص ٥٨.

وإذا بحثنا جيداً سنجد بأن التاريخ قد سطر لنا لحياة كثير من المفكرين والمؤلفين، الذين كان لهم عظيم الأثر في بلورة الأدب الجدلي، نتيجة للتعايش السلمي الذي أفرز هذه المجادلات والمناظرات بين المسلمين وأصحاب المعتقدات الأخرى، تلك المجادلات التي لم تكبحها السلطة الحاكمة من المسلمين، التي احتضنت فئات المجتمع دون مساس بحرياتهم، على عكس ما حدث قبل الحكم الإسلامي وما حدث بعد تراجع الحكم الإسلامي في الأندلس تحت حكم النصارى.

وعلى هذا يتبن لنا أن الحضارة الإسلامية تعتبر من لوازم ختم النبوة, وهو الذي أورثها تلك الخاصية والإمكان الحضاري, حيث أصبحت قادرة في كل حين على استئناف دورها المنشود في تحقيق الشهود الحضاري في أي وقت , فهي تحمل الدلالة الكافية على قدرتها في فترات متعددة النهوض, لأن الحضارة الإسلامية التي نمت وأورقت في العهد الأموي ثم العباسي إنما وضعت أسسها وزرعت بذورها في عهد النبوة [١].

المبحث الثاني: الجوانب الأساسية في بناء الحضارة الإسلامية

بعد الحديث عن الحضارة ومفهوما الإسلامي في المبحث الاول, فلا بد من ذكر الجوانب الأساسية التي بنيت عليها الحضارة الإسلامية, فقد ساد في المجتمع العربي عقائدُ عدّة نتيجة وجود عدّة أديان فيه؛ إلاّ أنّ أهمّ تلك العقائد وأكثرها انتشاراً كانت الوثنيّة, وهي التي تقوم على تأليه عدد من الأوثان الّتي عبدها العرب آنذاك؛ لا بوصفها أرباباً خالقة، وإنمّا بوصفها آلهة يتقرّبون بعبادتها إلى الله الّذي خلق السماوات والأرض, وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك في سياق محاجّة المشركين في أكثر من آية، قال تعالى: چ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ چ [٢], وفي العصر الّذي شهد ظهور الرسالة الإسلاميّة كانت هذه الأوثان تأخذ قدسيّتها شأن سائر الأعراف والتقاليد والعادات من طريق تقليد الآباء والأجداد وإعلاء شأنهم, فالعقائد الدينيّة لديهم ليست عقائد عقليّة أو فكريّة، وإنّما هي مجرّد مفاهيم موروثة تقليديّة[٣].

إن للدين الإسلامي منهجاً في بناء الحضارة؛ إذا التزمت به البشرية في أمورها الحياتية لعاشت في حضارة الإسلام دائما في الرقي والتقدم, لأن مواكبة الشريعة للحضارة تدل على انفتاح الشريعة واستنارتها[٤], وخاصة في هذا الجانب ونذكر منها :

---

(١) ينظر: التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر: لعبد الحي الكتاني, ١/ ٧-٨.

(٢) سورة الزمر الآية: (٣) .

(٣) ينظر: أسس النهضة الراشدة: أحمد القصص, ص ٥٥- ٥٨

(٤) ينظر: المصدر نفسه, ص ٦٥- ٦٦.

المطلب الأول: الجانب الديني والعلمي

إن حضارة الإسلام دائمة في الرقي والتقدم لأن فيها توازناً بين المادية والروحية، وتمثل في الجانب المادي كماليات، وفي الجانب الروحي فضائل ونوافل, حيث إن هذه الفضائل التي تجعل العقيدة ترسخ في قلب المؤمن لمعبوده سبحانه وتعالى بحيث يكون هذا المؤمن يراقب إيمانه في قلبه من مخالفات عقيدته، وأفضل الفضائل والعمدة فيها: الذكر والاستغفار, قال تعالى: چ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ چ[١], فالذكر يعمر قلب المؤمن بالهداية، ويزيل منه القسوة، ويولد الرضاء بالقدر الذي حظي به في أمور الدنيا والدين، لأن صحابة رضي الله عنهم الذين كانوا من فقراء المهاجرين حين تنافسوا مع أغنياء الأنصار في نيل الخيرات وأجورها؛ قال لهم نبينا محمد ﷺ: ((أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَمْرٍ تُدْرِكُونَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَتَسْبِقُونَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَأْتِي أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتُمْ بِهِ إِلَّا مَنْ جَاءَ بِمِثْلِهِ؟ تُسَبِّحُونَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدُونَ عَشْرًا، وَتُكَبِّرُونَ عَشْرًا))[٢].

وقد أحدث الإسلام في الشعوب الّتي اعتنقته انقلاباً عامّاً, فرفع مستواهم العقليّ، وأوجد لديهم العقيدة الإسلاميّة، فجعلها قاعدة فكريّة تبنى عليها جميع المفاهيم، ومقياساً لصحّة الأفكار وفسادها. ونقلهم من الإيمان الوجدانيّ التقليديّ الوراثيّ إلى الإيمان العقليّ، ومن عبادة الأصنام والنار والأشخاص وما شاكلها، وما تقتضيه هذه العبادة من انحطاط في النظر وإسفاف في الفكر إلى عبادة الله وما تقتضيه من فكر مستنير ونظر واسع. وجعلهم يصدّقون بالحياة الأخرى[٣].

ولقد اهتم الإسلام ايضاً في أول وهلة أمره بالعلم والمعرفة حيث كان يأمر النبي ﷺ بالقراءة, فقد جاء في محكم التنزيل: چ چ چ چ چ چ چ[٤]، وأخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن العلم الذي أوتي في الكون لا يعني شيئا وأنه قليل مهما بلغ، قال تعالى: چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی چ[٥], وهذا القليل نسبة إلى علم الله تعالى, ولأهمية العلم ونشره, فعن أبي هريرة

(١) سورة الرعد الآية: (٢٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد, باب الدعاء في الصلاة, رقم الحديث (٦٣٢٩), ١٦/ ٧٨.

(٣) ينظر: الدولة الإسلامية: تقي الدين النبهاني, ص ١٦٥.

(٤) سورة العلق الآية: (١).

(٥) سورة الأسراء الآية: (٨٥).

رضي الله قال: قال النبي محمد ﷺ: ((مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَجَّمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ))[١].

وبعد هذا كلّه, فإن الإسلام لم يكن مجرّد عقائد دينيّة وتوجيهات خلقيّة، ولم يقتصر على رسم الأهداف والمثل وتصوير معنى الحياة , بل تخطّى ذلك كلّه إلى بناء مجتمع متكامل تتماسك أركانه بمجموعة من الأنظمة المتكاملة , فلم يلتحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى إلاّ بعد أن اكتمل بناء دولة, والتي ارتكزت أوّل أمرها في المدينة، ثمّ توسّعت حتّى شملت جزيرة العرب, فكانت دولة متكاملة بكلّ ما تحمله كلمة دولة من معنى, ولكنّها دولة جديدة من نمط جديد، تقوم على أساس جديدة، وهي العقيدة الإسلاميّة ، وتطبّق أنظمة من نمط جديد لم يعهدها العرب ولا غيرهم من قبل، سواء على صعيد الحكم أو على صعيد الاقتصاد والاجتماع, أو على صعيد السياسة الخارجيّة[٢].

ولذلك يقول رالف لنتون: (إنّ مهمّة أيّ حضارة في مجموعها هي ضمان بقاء الجماعة الّتي تسود فيها تلك الحضارة واستمرار رفاهيّتها، وتصل الحضارة إلى هذه الغاية إذا ما أمدّت أعضاء تلك الجماعة بطرائق مجرَّبة ليجابهوا بها كلّ ما يستجِدّ أمامهم من مشاكل وما لم توجد لها حلول مناسبة فإنّ فناء الجماعة يصبح أمراً لا محيص عنه) [٣].

ولكننا نجد بأن المجتمع الإسلامي تكون بإثر دعوة دينية جاءت على مثال لا نظير له في الدعوات الدينية السابقة؛ إذ اشتركت مع باقي الاديان في موضوع العقيد والشريعة, ثم زادت بما اختصت به, وهذا ممّا وصلها بنواحي الثقافات والحضارات حتى تناولت الموضوعات الحكمية بأسرها, فاتخذت لموضوعها طريقاً خاصاً..., فالحضارة الإسلامية جاءت أثراً للمجتمع المكون على هذه الصورة, فكانت العلوم بأسرها عناصر للثقافة الإسلامية[٤].

المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي

إنّ الله تعالى خلق الإنسان، وجعل فيه طاقة حيويّة تجعله مندفعاً لإشباع حاجاته وغرائزه. ولقد أدرك الإنسان منذ القدم أنّه أراد تلبية مطالبه الفطريّة فلا بدّ له من الاجتماع مع غيره من الناس لتبادل المنافع والمصالح. فكان تجمّع الناس مظهراً طبيعيّاً في هذه الحياة. إلاّ أنّ مجرّد اجتماع

---

(١) رواه لأحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة, مسند أبي هريرة رضي الله عنه, رقم الحديث (١٠٥٩٧), ١٦/ ٣٥١, وقال الحاكم: إسناده صحيح على شرط الشيخين وليس له علة، ووافقه الذهبي.

(٢) ينظر: الدولة الإسلامية: تقي الدين النبهاني, ص ١٦٨-١٧٠ والإسلام والتحدي الحضاري: محمد أسد, ١٨-١٩.

(٣) شجرة الحضارة: رالف لنتون, ص ٧٤.

(٤) ينظر: روح الحضارة الإسلامية: محمد الفاضل عاشور, ص ٣٢- ٣٣.

الناس بعضهم ببعض لا يجعل منهم مجتمعاً، وإنّما يجعل منهم جماعة، ويبقون جماعة فقط إذا اقتصروا على مجرّد الاجتماع , فإذا نشأت بينهم علاقات دائمة لجلب المصالح ودفع المفاسد[١].

والمال عصب الحياة ولذلك وجه الإسلام أهله إلى طلبه بالطرق الصحيحة للحفاظ على الحياة، قال تعالى: چ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ[٢], وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ))[٣]، ومع ذلك فإن الإسلام حث على أن تكون الطرق التي يتحصل فيه المال طرقا شرعية, ولقد نهى رسول الله ﷺ عن الغرر في البيع، وكذلك نهى الإسلام عن التبذير والإسراف, وكما أن النبي ﷺ نهى عن صدقة المال كله لأن التركة ملك الورثة لا يسرف ولا يفرط فيها, فقَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لِي مَالٌ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ قَالَ لَا قُلْتُ فَالشَّطْرِ قَالَ لَا قُلْتُ فَالثُّلُثِ قَالَ الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ وَلَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ يَنْتَفِعُ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ))[٤].

فنرى كيف أن الإسلام نهى عن كل ما يسبب الأضرار التي تلحق بالاقتصاد ويضر المجتمع، فنجده قد حرم الربا وأعلن حربه على من يعمل به, والسبب في ذلك لأنه يؤدي إلى ضرر اقتصاد الدولة والأمة, فقال تعالى: چ ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ[٥]. وقال أيضاً: چ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ[٦].

فبعد أن كان الكثير منهم ينظرون إلى الحياة نظرة ماديّة بحتة، حيث الغاية هي المنفعة المادّيّة، من غير التفاتٍ إلى ما بعد هذه الحياة الدنيا من بعث ونشور وحساب، فلا أثر للناحية الروحيّة في حياتهم، فأصبحوا في ظلّ الإسلام يرون الحياة الدنيا معبراً إلى الحياة الأخرى، فعلى الإنسان أن يعبرها طائعاً لربّه متقيّداً بشرعه , فمقياس أعماله بات الحلال والحرام , فكانت فلسفة الإسلام

---

(١) ينظر: الدولة الإسلامية: تقي الدين النبهاني, ص ٥٢.

(٢) سورة الجمعة الآية: (١٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة, باب الاستعفاف عن المسألة, رقم الحديث (١٤٧٠), ٣/ ٥٢٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب النفقات, باب فضل النفقة على الأهل, رقم الحديث (٥٣٥٤), ١٣/ ٣٨٦.

(٥) سورة البقرة الآية: (٢٧٥).

(٦) سورة البقرة الآية: (٢٧٦).

للحياة هي مزج الروح بالمادّة, ويبيّن ذلك قوله تعالى: چ ﺩ ﺩ ﺋ ﺋ ﻩ ﺋﻭ ﻭ ﻭ ﻭ ﻭ ﻭ ﻭ ﻭ ﻭ ﻯ ﻯ ﻯ ﻯ ﻯ ﻯ ﻯ ﻯ ﻯ ﻯ چ[1], وهكذا فإنّ الإسلام أثّر في الشعوب الّتي اعتنقته للحياة وللأعمال الّتي يقومون بها في هذه الحياة, ونقل الإسلام عقليّة الشعوب الّتي اعتنقته، كما نقل نفسيّتهم، فأصبحوا بعد دخولهم في الإسلام غير ما كانوا عليه قبله، في شخصيّتهم كلّها, وفي نظرتهم للكون والإنسان [2].

ثم إن الإسلام قد نهى عن اكتناز المال بغير من غير أن يخرج زكاته أو أن يتصدق به, فقد جاء التحذير والوعيد بالعقوبة من الله تعالى لمن يخالف امره, فقال تعالى: چ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ چ[3], وهكذا فالإسلام راعى المجتمع الإسلامي ومن تبعه في الجوانب الاقتصادية, فالحضارة الإسلامية تعدُّ الرائدة في مجال تنظيم الأموال الاقتصادية والموارد المالية للأمة الإسلامية, وعرفت البشرية أول وزارة للمالية, والذي كان يسمى " بيت المال".

وهذ ما يجعل الأمة الإسلامية تختلف عن باقي التي فقدت استقلالها, وعندما استرجعتها, لم تسترجع حضارتها وثقافتها؛ لتبني عليها مستقبلها, بل إن أكثرها جعل من استقلاله اتجاهاً جديداً نحو تقليد الغير, فلم يحدث ذلك اثراً في تاريخ الحضارة الإنسانية, إذا قصر ذلك على أثره المادي في السياسة والاقتصاد, فكان شأن تلك الامم ؛ سواء الشرقي والغربي منها هو شان العائد على غيره في شؤون الفكر, والثقافة, والحضارة[4].

وعلى هذا يتبين لنا بأن الحضارة الإسلامية كان من أبرز ما تميزت به ؛ هي تلك النظم التي قامت عليها, والتي شملت أمور الحكم والإدارة والسلام والحب والاجتماع والاقتصاد وكل ما يتصل بتنظيم أمور الدولة المسلمة التي هي المحتوي العلمي لقيم الحضارة الإسلامية, وحديثنا في هذا المقام عن النظام الاقتصادي في الحضارة الإسلامية.

المطلب الثالث: الجانب الأدبي والأخلاقي

إن العمل التربوي والأدبي هو العمل الأصلي الذي ولد الحضارة, وكون المجتمع الأمثل, وقد مهل للثقافة طريقها, إلى ان تناول عناصر المعرفة, فقامت الحضارة الإسلامية على ذلك المجتمع المتلائم, وقد برزت تلك الثقافة بأزهارها اليانعة من بذور تلك العناصر المتلاحقة.

---

(١) سورة القصص الآية: (٧٧).

(٢) ينظر: الدولة الإسلامية: تقي الدين النبهاني, ص ١٦٦– ١٦٧.

(٣) سورة التوبة الآية: (٣٤–٣٥).

(٤) ينظر: روح الحضارة الإسلامية: محمد فاضل عاشور, ص ٦٣.

وإن الجانب الأخلاقي والأدبي له من أهم أولويات الدين الإسلامي, لأن الأخلاق كان لها في المنهج الرباني أهمية كبرى, إذ بناها على أساس الحقيقة الكبرى للكون والحياة, فقد حث الإسلام الناس على التخلق والتأدب بآدابه واخلاقه، وأمرهم بصلة الأرحام, وذلك بالتزاور في بيوتهم كما علمهم آداب الزيارة أيضا, فقد علمهم الإسلام كيف يدخلون إلى بيوتهم أو بيوت غيرهم, [١], قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين:چ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی □ □ چ [٢], وقد أمرنا الإسلام بألقاء التحية على أهلنا, وغيرهم, وعلمنا آدابها,: چ ی □ چ[٣].

وبعد ذلك نجد أن الإسلام قد نهى عن التجسس في البيوت, فقال تعالى: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ[٤] , ثم إن الإسلام نهى عن السخرية والتنابز بالألقاب واعتبرها من الأخلاق الذميمة التي من الواجب على المسلم أن يتركها, وان ينتهي عن فعلها, قال تعالى: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ چ [٥], فقد نهى الله تعالى في هذه الآيات عن تلك الأفعال وحرمها, ومن فعل ما نهى الله عنه منها فذلك فسوق وخروج عن طاعة الله تعالى[٦].

وقد أمرنا الدين الإسلامي بالإصلاح بين الناس, فجاء في كتاب الله: چ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ [٧], وقد حثنا الإسلام على إكرام الضيف والإحسان للجار, وكل ذلك تحت طاع الله تعالى وطاعة رسوله الله ﷺ, وكأنَّ مكارم الأخلاق بناءٌ شَيَّده الأنبياءُ، وبُعِث النَّبيُّ ﷺ لِيُتِمَّ هذا البناء، فيكتمل صرْح مكارمِ الأخلاق ببَعْثَتِه ﷺ.

وبعد ذكر هذه الآيات يتبين لنا أن تلك الأحكام الشرعيّة هي النظام الّذي ينظّم علاقات الإنسان كلّها؛ سواء كانت علاقة مع ربّه، نظّمها بمجموعة من العبادات، أو كانت علاقة مع نفسه، نظّمها بمجموعة من الأخلاق, أو علاقة مع غيره من الناس, فقد نظّمها بمنظومة كبيرة من أحكام المعاملات– أي أحكام المعاملات– هي صاحبة الأثر الأكبر في تشكيل حياة الناس في مجتمعهم, إذ بتطبيقها تتجلّى المفاهيم التي تحكم سلوك الناس، وهي التي تشكّل أنظمة الحكم

(١) ينظر: الوسطية في القرآن الكريم: د. علي محمد الصلابي, ص ٤٣٨.

(٢) سورة النور الآية: (٢٣).

(٣) سورة النساء الآية: (٨٦).

(٤) سورة الحجرات الآية: (١٢).

(٥) سورة الحجرات الآية: (١١).

(٦) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر: لابن حجر الهيتمي, ٢/ ٣٣-٣٤.

(٧) سورة النساء الآية: (١١٤).

والاجتماع والاقتصاد والعقوبات والتعليم، وبها تَرعى السلطةُ القائمة شؤون الناس في سياستها الداخليّة والخارجيّة, فهي الأساس الذي قامت عليه الحضارة الإسلاميّة[١].

وعلى هذا فإن الذي يبدو لي أن الحضارة الإسلامية قد بنيت على دعوة موجهة, وشيدت على اساس ثابت, إذ اعتبرت الإنسان بوصفه إنسان مجرداً عن كل وصف لا حقٍ لإنسانيته, فهو مدعو للاشتراك مع كل إنسان في تأليف مجتمع تترابط عناصره برباط العقد الاجتماعي المفتوح, كما أن الاحكام الإسلامي لا تكون مؤثرة في المجتمع وهي بعيدة عن مكارم الاخلاق, فالدين الإسلامي أمرنا أن نتعامل بتلك الأخلاق والمحبة مع المسلمين وغيرهم.

المطلب الرابع: الجانب السياسي

إن السياسة الإسلامية تعني بترتيب أمور الدنيا داخل المجتمع بمعنى تنظيم العلاقات داخليا حفاظا على المصالح, لأن الإنسان بطبيعته يميل إلى غيره حتى ولو كان كافراً، وذلك لما تدعو ممارسة حياته نحو الآخر في الحضر أو في السفر، أو في العمل أو في الطريق، ولذلك من الحيطة والحذر على المسلم أن يجنب من شر الكافر وطغيانه على عقيدته ونفسه وماله وعرضه، وتجدر الإشارة هنا إلى أن السياسة في الإسلام مبنية على الشورى, فقال تعالى: چ ں ں ڻ چ[٢]، وقال أيضاً: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[٣] ، ومن الممارسات ما تكون مقرونة بظروف خاصة تتبع كمعالجة في سياسة إصلاحية أو دفاعية ضد الأعداء.

فإن الحضارة الإسلامية منذ نشأتها؛ قد جمعت كلّ المقوّمات الأساسيّة لحضارة مكتملة شاملة, فقامت في مجتمع واضح المعالم، له نظرته الخاصّة في الحياة، وله نظامه التشريعيّ الكامل وله نهجه المحدّد للعلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض داخل هذا المجتمع, لأن روح الإسلام هي التي خلقت من عناصر متفرقة مجتمع عظيم فكان مجتمع إسلامي قوي متماسك[٤].

وعلى هذا فإن الحضارة الإسلامية التي بمبادئها تبين رقيها وتقدمها على جميع الحضارات, لأن الإنسان بفطرته يميل إلى المادة والروح، فالإسلام حافظ على تلك الفطرة، وأما بقية الحضارات فإنها لم تراع التوازن بين المادة والروح بالسواء، فكان الصراع في تلك الحضارات لا يزال متصادماً، وأما الواقع فليس حجة على تقدم الحضارات الغربية، لأن بيد كثير من أبناء المسلمين قد شهدت اختراعات وإبداعات حديثة وغير منحصرة[٥].

---

(١) ينظر: الجانب الأخلاقي في الخطاب الإسلامي: يحيى علي يحيى, ص ٣١٧- ٣١٩.

(٢) سورة الشورى الآية: (٣٨).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٥٩).

(٤) ينظر: الإسلام والتحدي الحضاري: محمد أسد, ص ٢٠.

(٥) ينظر: أسس النهضة الراشدة: احمد القصص, ص ١٥-١٦.

ويمكن القول بأنه لم يحصل الانتشار الهائل للحضارة الإسلاميّة وانصهار الشعوب بها نتيجة الغزو العسكريّ بحدِّ ذاته، كما أنّه لم يتمّ بحدِّ السيف, وشتّان بين الانتشار العسكري البحت الذي يستهدف غزو الأراضي والبلاد, وبين الانتشار الحضاريّ الذي يستهدف غزو القلوب والعقول والضمائر, فإذا كان الأوّل سلاحه السيف والرمح، فإنّ الثاني لا يتأتّى إلاّ بالفكر والحوار والدعوة والمحاجّة, وإنّ الذي أدّى إلى هذا الانقلاب الحضاريّ عوامل عدّة يمكن تلخيصها بما يأتي :

- أوامر الإسلام.
- واختلاط المسلمين الفاتحين بشعوب البلاد المفتوحة.
- ودخول أهل البلاد بجملتهم في الإسلام(١),

ويتبين من ذلك أن التميز الحضاري, والإمكان الحضاري في الوقت نفسه, إنما يتحققان بحفظ الله تعالى لاستمرار قيم الوحي, التي كلما تفاعل معها الإنسان بشكل صحيح أثمرت تلك الحضارة, وكلما أصيب منهج العقل في التعامل معها كان التخلف والغياب الحضاري, وهذا بطبيعة الحال لا ينفي استمرار الإمكان الحضاري في كل حين وكل جيل.

فحضارة الإسلام هي الصورة اليقظة الفكرية, والهمة الإنشائية, والتي تولدت من حرارة إيمان المسلمين في الأجيال الاولى, والغاية في ذلك تبدو واضحة في عظمة دينهم, فقد طلبوا المعارف ونالوها, وجمعوا بين أطرافها وهضموها, وصنفوها وتحكموا فيها, فتطورت على أيديهم, وتأصل ما بينها وبين دينهم, فانطبعت بشخصيتهم, وتأثرت بأوضاعهم الفكرية الأساسية, التي هي أو ضاع الفكرة الدينية التي أنشا الإسلام عليها افكارهم, والتي رتبت دعوة الإسلام عليها نفوسهم(٢).

ثم إن الإسلام كان رائد للحضارة الإسلامية في الأندلس وخاصة في العصور الوسطى, بينما كان الغرب يعيش في ظلام دلمس, وكان من أهم الجوانب الأساسية والدعائم الحقة؛ هو ان الغرب أغترف من العرب الشيء الكثير في كافة الفنون والعلوم , فكانت الحضارة الإسلامية الأندلسية ولا تزال مرابطة تطل علينا بالآداب تارة، والمعارف تارة أخرى؛ فلقد أسهمت تلك الحضارة في كل الحضارات الإنسانية التي سارت على أثرها، تلك الحضارات غير العربية التي تأثرت بالثقافة الإسلامية الأندلسية، ثم سارت في سبيل الرقي (٣).

والذي يبدو لي بأن الإسلام قد احدث انقلاباً شاملاً في الشعوب التي اعتنقته, وهذا ليس مجرّد انقلاب عسكريّ أو سياسيّ، بل هو انقلاب في طريقة العيش كلّها، انقلاب مجتمعات وتحوُّلها

(١) ينظر: فجر الإسلام: أحمد أمين, ص٨٥.

(٢) ينظر: شروط النهضة: مالك بن نبي, ص ٨٥- ٨٧.

(٣) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس: محمد عبد الله عنان, ٥/ ٥٠٧-٥١٤.

إلى مجتمع آخر ذي شخصية جديدة وهوية مختلفة, ويعني ذلك إنّه انقلاب حضاريّ بكلّ ما تحمله الكلمة من معان.

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في هذا البحث, عسى أني قد وفقت فيه, ولكن لا بد أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها, فقد أوجزتها في النقاط الآتية :

١- إن مفهوم الحضارة من المفاهيم التي لم يتم التوافق على تحديدها بل إنه يختلف على حسب منطلقات معرفيها, وأن قيامها يعتمد على مدى أخذها بالأسباب، وإن ديمومتها, وازدهارها يستند إلى احترام السنن الكونية .

٢- وإن واقع الحضارة الإسلامية اليوم لا يعبّر عن المكانة التي ينبغي أن تتبوّأها الأمة الإسلامية, لأن السر فيها يتكون في الفرد بطريقة تربوية تعتمد على إيقاظ الحس الباطني الذي يتوجه به الفرد إلى تحصيل المدركات الأولى.

٣- وإن الحضارة تولد من رحم فكرة يقينية كلية جامعة هي روحها وخزّان طاقتها، وتؤول إلى الانحدار إذا انقطعت صلتها بتلك الفكرة أو ضعفت, إنّ أخطر ما يمكن أن يصيب أمّة من الأمم، هو أن تفقد هويّتها الحضاريّة. فالهويّة الحضاريّة هي أثمن ما يمتلكه أيُّ مجتمع من المجتمعات.

٤- ثم إن ميزة العقل التي ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن باقي المخلوقات, ومنحه القدرة على الاختيار, فهو محور الحضارة, ووسيلتها وهدفها, ومعيارها, وإن الحضارات تقاس بمدى قدرتها على تحقيق إنسانية الإنسان, وكيف تنمي مواهبه وملكاته وتحقق وعيه بذاته, وكيفية انسجامه مع الكون والحياة, والارتقاء به, وذلك ليحس القيام بدوره في البناء الحضاري الذي يكرم الإنسان ويُكرَّ به.

٥- ويتبن لنا ايضاً بأن التراث الثقافي الذي خلفته الحضارة الإسلامية للحضارة الحديثة، يظل شاهداً على ما كان يتصف به الفكر الإسلامي في عصوره الذهبية، فلقد اتسم كفاحه في مجالاته كافة بالإحساس, فالحضارة الإسلامية حضارة عملية تجريبية تتجه إلى تحقيق الفعل الإنساني في ضوء نظرية حية ملموسة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١- أسس النهضة الراشدة: أحمد القصص, الناشر: رابطة الوعي الثقافية – طرابلس– لبنان, ودار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع, الطبعة الأولى, لعام ١٤١٦هـ.

٢- الإسلام والتحديّ الحضاريّ: محمد أسد وآخرون, ترجمة محمّد محمود غالي, الناشر: دار الكاتب العربيّ، بيروت, الطبعة الاولى, لعام ١٩٩٢م.

٣- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني, الناشر: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية , الطبعة الاولى, لعام ١٤٢٤هـ.

٤- الإنسان دراسة في النوع والحضارة: د. محمد رياض, الناشر: مؤسس هنداوي, بيروت, الطبعة الثالثة, لعام ١٩٧٤م.

٥- الإنسان والحضارة: فؤاد زكريا, الناشر: مؤسسة هنداوي– بيروت, الطبعة الثانية, لعام ٢٠١٧م.

٦- تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ), تحقيق: خليل شحادة, الناشر: دار الفكر- بيروت, الطبعة الثانية, لعام ١٤٠٨هـ.

٧- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ), المحقق: عبد الله الخالدي, الناشر: دار الأرقم - بيروت, الطبعة: الثانية.

٨- الجامع المسند الصحيح: أبو عبد الله, محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (المتوفى: ٢٥٦ هـ), تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار السلام –الرياض, الطبعة الاولى, لعام ١٤١٩هـ.

٩- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله, محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ), تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة, الطبعة الثانية, لعام ١٣١٨هـ.

١٠- الجانب الأخلاقي في الخطاب الإسلامي: يحيى علي يحيى, الناشر: الجامعة الإسلامية- غزة, لعام ٢٠٠٥م

١١- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية: د, توفيق يوسف الواعي, الناشر: مكتبة المنار الإسلامية- الكويت, الطبعة الثانية, لعام ١٤٢٥هـ.

١٢- الحضارة الإسلامية: أحمد عبد الرحيم السايح, الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة, الطبعة العاشرة, لعام, ١٣٩٧هـ.

١٣- الحضارة الثقافة المدنية: نصر محمد عارف, الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي- بيروت, الطبعة الثانية, لعام ١٤١٤هـ.

١٤- الحضارة العربيّة: جاك ريسلر, تعريب د. خليل أحمد خليل, الناشر: منشورات عويدات، بيروت- باريس, الطبعة الاولى, لعام ١٩٩٣م.

١٥- الدولة الاسلامية: تقي الدين النبهاني, الناشر: دار الامة- بيروت, الطبعة السادسة, لعام ١٤١٨هـ.

١٦- دولة الإسلام في الأندلس: محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (المتوفى: ١٤٠٦هـ), الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة, الطبعة الرابعة, لعام ١٤١٧هـ.

١٧- روح الحضارة الإسلامية: محمد الفاضل عاشور, الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا, الطبعة الثالثة, لعام ١٩٩٢م.

١٨- الزواجر عن اقتراف الكبائر: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ), الناشر: دار الفكر, الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٩- شروط النهضة: مالك بن نبي, الناشر: دار الفكر- دمشق, الطبعة الرابعة, لعام ١٩٨٧م.

٢٠- على عتبات الحضارة: بتول أحمد جندية, الناشر: دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سورية, الطبعة الاولى, لعام ١٤٣٢هـ.

٢١- شعر المرأة الأندلسية من الفتح إلى نهاية عهد الموحدين: واقدة يوسف كريم, إشراف: د. عبد الجبار سالم عبد الكريم, سنة النشر: رمضان ١٤٢٤هـ.

٢٢- فتح القدير:, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ), الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت, الطبعة: الأولى, لعام ١٤١٤هـ.

٢٣- فجر الإسلام: أحمد أمين, الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت, الطبعة: الحادي عشر, العام ١٩٧٩هـ.

٢٤- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ), الناشر: دار صادر– بيروت, الطبعة الثالثة, لعام ١٤١٤هـ.

٢٥- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات, عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ), حققه: يوسف علي بديوي, راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو, الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت, الطبعة الأولى, لعام ١٤١٩هـ.

٢٦- مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ), تحقيق: شعيب الأرنؤوط, الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت, الطبعة الاولى, لعام . (١٤٢١هـ),

٢٧- الوسطية في القرآن الكريم: الدكتور عَلي مَحَّمد محمد الصَّلاَّبي, الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة– الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة– مصر, الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

Sources and References
The Holy Quran

1. Osus Alnahdhah Alrashidah: Ahmad Al-Qasas, The Publisher: The Association Of Cultural Awareness - Tripoli - Lebanon, And Dar Al-Ummah Printing, Publishing And Distribution, First Edition, For The Year 1416 AH
2. Al-Islam Wal Tahaddi Alhadhari: Muhammad Asad And Others, Translated By Muhammad Mahmoud Ghaly, Publisher: The Arab Writer House, Beirut, First Edition, 1992 AD.
3. A'lam Wa Aqzam Fi Meezan Al-Islam: Abu Al-Turab Sayyid Bin Hussein Bin Abdullah Al-Afani, Publisher: Majid Asiri House For Publishing And Distribution, Jeddah - Saudi Arabia, First Edition, For The Year 1424 AH.
4. Alinsan Dirasah Fil Naw' Wal Hadharah: Dr. Muhammad Riyad, Publisher: Founder Of Hindawi, Beirut, Third Edition, For The Year 1974 AD.
5. Alinsan Wal Hadharah: Hindawi Foundation - Beirut, Second Edition, For The Year 2017 AD.
6. Tareekh Ibn Khaldun: Abd Al-Rahman Bin Muhammad Bin Muhammad, Ibn Khaldun Abu Zaid, And Wali Al-Din Al-Hadrami Al-Ishbili (Died: 808 AH), verified by: Khalil Shehadeh, Publisher: Dar Al-Fikr - Beirut, Second Edition, For The Year 1408 AH.

7. Altarateeb Alidariyah Wal Amalalt Wal Sina'at Wal Matajir: Muhammad Abd Al-Hayy Ibn Abd Al-Kabir Ibn Muhammad Al-Hasani Al-Idrisi, Known As Abd Al-Hay Al-Kettani (Died: 1382 AH), verified by: Abdullah Al-Khalidi, Publisher: Dar Al-Arqam - Beirut, Second Edition.
8. Aljami' Almusnad Alsaheeh: Abu Abdullah, Muhammad Bin Ismail Bin Ibrahim Bin Al-Mughira Al-Bukhari (Died: 256 AH), verified by: Muhammad Fuad Abd Al-Baqi, Dar Al-Salam - Riyadh, First Edition, For The Year 1419 AH.
9. Al-Jami Li Ahkam Al-Qur'an: Abu Abdullah, Muhammad Bin Ahmed Bin Abi Bakr Bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din Al-Qurtubi (Died: 671 AH), verified by: Ahmad Al-Bardouni And Ibrahim Atfeesh, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Masriya - Cairo, Second Edition, For The Year 1318 AH.
10. Aljanib Alakhlaqi Fil Khitab Al-Islami: Yahya Ali Yahya, Publisher: The Islamic University - Gaza, 2005
11. Alhadharah Al-Islamiya Muqaranatan Bil Hadharah Algharbiya: Dr. Tawfiq Yusef Al-Wa'i, Publisher: Al-Manar Islamic Library - Kuwait, Second Edition, For The Year 1425 AH.
12. Alhadharah Al-Islamiyah: Ahmad Abd Al-Rahim Al-Sayeh, Publisher: The Islamic University Of Madinah, Tenth Edition, For The Year, 1397 AH.
13. Alhadharah Althaqafah Almadaniya: Nasr Muhammad Aref, Publisher: The International Institute Of Islamic Thought - Beirut, Second Edition, For The Year 1414 AH.
14. Alhadharah Al-Arabiya: Jack Ressler, Dr. Khalil Ahmad Khalil, Publisher: Oweidat Publications, Beirut - Paris, First Edition, For The Year 1993 AD.
15. Aldawla Al-Islamiya: Taqi Al-Din Al-Nabhani, Publisher: Dar Al-Ummah - Beirut, Sixth Edition, For The Year 1418 AH.
16. Dawlat Al-Islam Fil Alndulus: Muhammad Abdullah Anan, The Egyptian Historian (Died: 1406 AH), Publisher: Al-Khanji Library, Cairo, Fourth Edition, For The Year 1417 AH.
17. Rooh Alhadharah Al-Islamiyah: Muhammad Al-Fadil Ashour, Publisher: The International Institute Of Islamic Thought - Virginia, Third Edition, 1992 AD.
18. Alzawajir An Iqtiraf Alkabae'r: Ahmed Bin Muhammad Bin Ali Bin Hajar Al-Haytami Al-Saadi Al-Ansari, Shihab Al-Din Sheikh Of Islam, Abu Al-Abbas (Died: 974 AH), Publisher: Dar Al-Fikr, First Edition, 1407 AH.
19. Shorout Alnahdhah: Malik Bin Nabi, Publisher: Dar Al Fikr - Damascus, Fourth Edition, 1987 AD.
20. Ala Atabat Alhadharah: Batoul Ahmad Jindiya, Publisher: Dar Al-Multaqa For Printing, Publishing And Distribution, Syria, First Edition, For The Year 1432 AH.
21. Shi'r Almara'ah Alndulusiyah Minal Fat-H Ila Nihayah Ahd Almuwahhideen: The Leader Of Yusef Karim, Supervised By: Dr. Abdul-Jabbar Salem Abdul-Karim, Year Of Publication: Ramadan 1424 A.H.
22. Fateh Al-Qadeer: Muhammad Bin Ali Bin Muhammad Bin Abdullah Al-Shawkani Al-Yamani (Died: 1250 AH), Publisher: Dar Ibn Katheer, Dar Al-Kalam Al-Tayyib - Damascus, Beirut, First Edition, For The Year 1414 AH.
23. Fajr Al-Islam: Ahmed Amin, Publisher: Dar Al-Kitaab Al-Arabi - Beirut, Edition: Eleventh, In The Year 1979 AH.
24. Lisan Al-Arab: Muhammad Bin Makram Bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwa'i Al-Afriqi (T .: 711 AH), Publisher: Dar Sader - Beirut, Third Edition, For The Year 1414 AH.

25. Madarik Altanzeel Wa Haqae'q Alta'weel: Abu Al-Barakat, Abdullah Bin Ahmed Bin Mahmoud Hafiz Al-Din Al-Nasfi (Died: 710 AH), Verified By: Yusef Ali Bedaiwi. , For The Year 1419 AH.
26. Musnad Al-Imam Ahmad: Abu Abdullah Ahmad Bin Muhammad Bin Hanbal Bin Hilal Bin Asad Al-Shaibani (Died: 241 AH), verified by: Shuaib Al-Arna`Ut, Publisher: Al-Resala Foundation - Beirut, First Edition, For The Year 1421 AH,
27. Alwasatiyah Fil Qur'an Alkareem: Dr. Ali Muhammad Muhammad Al-Salabi, Publisher: The Companions Library, Sharjah - Emirates, Affiliates Library, Cairo - Egypt, First Edition, 1422 AH.